وأخيراً ... هل سيكون لدينا منهاج تكاملي؟! ولكن مهلاً

وسيم الكردي

(1)

لقد تناهى إلى مسامعنا في الأشهر الأخيرة أن وزارة التربية والتعليم بصدد تقييم تجربة المنهاج الفلسطيني الجديد، وقد أعلمني أكثر من شخص في وزارة التربية والتعليم، وفي مركز المناهج، بأن التوجه الراهن الذي ارتبط بمراجعة نقدية/ تحليلية يقوم على إعادة بناء المناهج وتصميمها على أساس التعليم التكاملي للمرحلة الأساسية الأولى من الصف الأول الابتدائي إلى الصف الرابع الابتدائي. ولعل في هذا التوجه ما يؤسس لمنظور جديد للتعليم في فلسطين، وهو يقوم أساساً على توجهات فلسفة المنهاج وخطوطه العريضة التي أنجزت مع بدايات العمل على منهاج فلسطيني.

(2)

إن هذه الرؤية كانت متضمَّنة منذ البدايات في التصورات والرؤى والتوجهات، ولم تتحول إلى ممارسة فعلية على أرض الواقع، ربما كان الفلسطينيون بحاجة إلى أن يخوضوا تجربتهم حتى نهاياتها كي نصل إلى هذه النتيجة التي أفضت إلى نظرة مختلفة وفهم مغاير لطبيعة التعليم، وكيف ينبغي أن يكون. ومن الضروري أن يكون هذا التوجه منبنياً على رؤية أهمية «علائقية المعرفة والممارسة معاً» في العملية التعليمية، لا أن يكون تحت ضغط النتائج المتدنية لمستوى تحصيل تلامذتنا في ضوء ما أفرزته الامتحانات الوزارية والوطنية والدولية من تراتبية ومستويات.

(3)

إن معظم المعلمين، إن لم يكن جميعهم، لم يتمكنوا من تحويل السياسات التي تحثهم على التعليم التكاملي إلى ممارسات تقوم على هذا التوجه إلا في حالات محدودة وضئيلة، ويبدو فيها الربط بين موضوعات مختلفة بسيطاً ومحدوداً.

(4)

«التعليم التكاملي» أو ما يسمى «التعليم الإدماجي» إضافة إلى مصطلحات أخرى، يحيل، في السياق التربوي، على أن الفعل التربوي التعليمي يقوم على أساس التواصل والتشابك وتعدد التخصصات والترابط والشمول . . . ، ويحيل على ما يدعى «بين منهاجية»، و«عبر منهاجية» و. . . . وفي جوهره أن مجالات التعلم وموضوعاته ومكوناته وعناصره لا ينبغي فصلها عن بعضها، بل يتطلب الأمر تعليمها بصورة تكاملية ومتداخلة، ويتضمن ذلك الموضوعات والقدرات وتنوع الاحتياجات. . . . ويواجه المعلمون صعوبات هائلة فيما يخص هذه «التكاملية»، ويعبِّرون باستمرار عن أن الكتب المدرسية لا تقوم على هذا الأساس، وأنهم لم يتلقوا تأهيلاً يمكّنهم من تعليم وفق هذا التوجه.

(5)

إنه تعليم يقوم على سلسلة متصلة ومتواصلة ومترابطة مبنية على العلاقات، العلائقية جوهرها، ولو ذهبنا في مقاربتها مجازياً لأمكننا أن نرى التعليم هنا باعتباره «جذمورياً» ولنستخدم هنا تعبير «علائقي» حيث أن الحياة متشابكة ومتصلة، وأن فصل المكونات عن بعضها يحيلها على سياق آخر، يفضي إلى علاقة من نمط مختلف. وترابطها يفضي إلى فهمها في سياقاتها، ويؤدي إلى إنتاج الدلالة، وكذلك الممارسة في ضوء ذلك، بمعنى آخر إنه تعليم يقارب الحياة.

(6)

ما الذي تتيحه «العلائقية»؟

إن التعليم العلائقي يقوم على: تحقيق تعلّم يتسم بالمرونة، والاستناد إلى الخبرة السابقة والمعرفة المتحصلة، تكوين رؤية مشتركة للتعلم في ضوء التنوع والاختلاف، التأمل في العالم الواقعي/ الحقيقي، التطابق مع تفكير التلاميذ في الحياة الذين يرون الحياة في ترابطها وليس في تجزيئها.

(7)

إن التعليم العلائقي للتلميذ يساهم في انخراطه كمتعلم بصورة أكبر وأعمق وأشمل في تعلمه، فهو له معنى لأن سياقه يتيح ذلك. كما أنه يمكن التلاميذ من توظيف معرفتهم وسلوكهم ومهاراتهم وعرضها في سياقات تعلم مختلفة. ويستطيعون عبره الربط بين خبرات تتحقق في حجرة الصف وخبراتهم التي تتحقق عبر انخراطهم في الحياة. وهذا الانخراط في جوهره ذو طبيعة مفاهيمية؛ فالتعلم/ التعليم يقوم على محتوى متصل بأفكار محورية.

من فعاليات المساق التأسيسي (الدراما في التعليم) 2011-2012.

(8)

إن التعليم العلائقي للأستاذ يساهم في انخراطه كمعلم بصورة أكبر وأعمق وأشمل في تدريسه، فهو يقوم على الوصل بين المحتوى ومجالات التعلم، واقتراح سياقات ذات صلة بالتعلم تقوم على احتياجات المتعلم، وبالتالي ترتقي بدافعيته، ومن ثم بمشاركته، في عملية تعلمه وتحمل المسؤولية إزاءها.

(9)

إن متطلبات أن يكون التعليم تكاملياً/ علائقياً، يشتغل على العلائقية داخل مجال الموضوع الواحد، وبين مجالات الموضوع الواحد، وما بين الموضوعات، وما يتجاوز ذلك إلى مشاركة المتعلم في تعلمه بصورة فعالة تقدّر مبادراته وتساؤلاته، وتؤكد على سياقية الحياة، وأن المعارف والمهارات في الحياة متصلة ومترابطة وتستند إلى بعضها البعض، وتتجسد عبر مشروعات مركزة، بحيث يكون لها معنى في السياق الحياتي، وتفضي إلى تعزيز مبادرات التلاميذ وتقوي خيالهم، وتبعث على الإبداع – تقوم على رؤية مختلفة للحياة قبل التعليم، وأن الحياة في جوهرها علائقية، وهنا يصبح تعليم أطفالنا له مغزى، فهم لن يكونوا مشروعاً مؤجلاً للغد، بل هم جزء جوهري من مشروع اليوم كما الأمس كما الغد. وهذه مهمة معقدة وشائكة وتتطلب حواراً مجتمعياً خلاقاً.

(10)

إن رهاننا يقوم على المبادرات الخلاقة، وهي تبدأ من المعلمات والمعلمين الذين جرّبوا المنهاج الفلسطيني، وهناك من طوَّروا تجارب وخبرات تعليمية نوعية مهمة، وهناك روح نقدية تحلّى بها كثيرون داخل الوزارة وخارجها، وهناك من ساهم في الكتب المدرسية ويمكنه، بعد هذه السنوات، أن ينظر إليها بصورة مختلفة، وهناك تجارب مجتمعية قاربت هذا المجال واقتربت منه، كما أن العالم اليوم حقق إنجازات فكرية وممارسات فعلية مثيرة للاهتمام. ربما علينا أن نعمل معاً من أجل أن تتلاقى جميع هذه الخبرات كي ننتج رؤى وتوجهات وربما نماذج ملهمة تسهم في إنارة طرق غير معبدة، لتضفير عمل يأخذ بعين الاعتبار جميع المكونات والعناصر الإنسانية والطبيعية ويضعها في سياق واحد، ويمنحنها إمكانية أن نبني على تجربتنا ونؤسس لتجاوز جديد.

(11)

إن مؤتمراً يعد له بعناية فائقة، ويأخذ وقته من التحضير، قد يسهم في تجميع مبادرات خلاقة، ويخلق لها فضاء للحوار قد يشرّع أجنحة الخيال.

(12)

ربما لا نضيّع هذه الفرصة كما ضيَّعنا فرصاً كثيرة.

من فعاليات المساق التأسيسي (الدراما في التعليم) 2011-2012.